القياسُ النَّحويُّ مِنْ مصنَّفِ الهدايةِ إلْى بلوغِ النِّهاية لمكّي ابن أبي طالب دراسةٌ نحويَّةٌ وصفيَّة

محمَّد علي أحمد عمر و عماد عوض الزَّين علي
[1,2] جامعة السودان للعلوم والتكنولوجيا – كلية اللغات

المستخلص:

جاءت هذه الدراسة المسماة القياس عند مكّي انسجامًا مع الدراسات التي خدمت هذا المؤلف القيم، ومن أهداف الورقة التي تسعى إلى تحقيقها: التعريف بمكّي، وقد قام الباحثان بإبراز الجهد النحوي له متمثلًا في موقفه من القياس، وقد اتبعت الدراسة المنهج الوصفي التحليلي لملاءمته طبيعة الدراسة، ومن ثَم خرجتْ – بعد عرض مادتها – بأنَّ مكّي اعتمده في اختياراته، فلا يرى القياس على النادر والجوار، وأن الحمل على اللفظ مقدم على المعنى.

الكلمات المفتاحية: *القياس، الموقف، الشاذ.*

ABSTRACT:

This study entitled as measure of Mackie to cope with the studies which discover this great author. The aims of this study seeks to achieve the definition of Mackie, the researchers identified his grammatical effort and his view about measure. The study used the descriptive and the analytical methodology since it copes with study. The study concluded to findings the most important that Mackie used measure in his alternatives, measure is rarely considered close and the priority is to word and proceeded to meaning.

Key words: *Measure, position and abnormal.*

المقدمة:

الحمد لله على إحسانه والشكر على توفيقه وامتنانه، وأشهد ألا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أنَّ محمدًا عبده ورسوله – صلى الله عليه وعلى جميع آله وأصحابه. أما بعد

جاء عنوان هذه الدراسة العلمية تحت عنوان (القياس عند مكّي) وتكمن أهمية الموضوع في أنَّ أولى ما تقترحه القرائح، وأعلى ما تجنح إلى تحصيله الجوانح، ما يتيسر به فهم كتاب الله المنزل، ويتضح به معنى حديثنبيِّه المرسل، فإنهما الوسيلة إلى السعادة الأبدية والذريعة إلى تحصيل المصالح الدينية والدنيوية وأصل ذلك علم الإعراب الهادي إلى صوب الصواب (ابن هشام،2012،ج:1،ص:11) ولا شك أن القياس هو أحد الأصول المعتبرة في هذا العلم.

أهداف الدراسة:

1- التعريف بمكّي – رحمه الله – وحياته العلمية كأنموذج يحتذى به في التحصيل العلمي وذلك أنه رجل كثير الرحلة واسع الاطلاع كثير التصانيف.
2- موجزة تاريخية لأصول النحو.
3- إبراز آثاره العلمية من خلال موقفه من القياس.

4- دراسة قواعد القياس من خلال آرائه، واختياراته واستدراكاته على بعض النحويين ومن ثم تقويم هذه الجهود والوصول بها إلى نتائج تفيد الدارسين

منهج الدراسة:

استخدم الباحثان في هذا البحث المنهج الوصفي التحليلي لملاءمته طبيعة الدراسة.

مشكلة البحث: وتكمن في:

1- ارتباط الدراسة بتفسير الكتاب العزيز وهذا يتطلب مزيدًا من الدقة والتأني خوف الوقوع في الذلل.

2- استخدام مكّي لمصطلحات القياس جعل الباحثين يرجعان إلى كتب الأصول المهتمة بهذا الشأن.

3- هل اعتبر مكّي القياس أصلا؟

التعريف بمكّي: هو مكّي بن أبي طالب حَمُّوش– بفتح الحاء المهملة وتشديد الميم وسكون الواو وشين معجمة، تصغير محمد عند المغاربة(ابن خلكان،1900،ج:5،ص:377) بن مختار القيسِيِّ القيروانيِّ؛ مدينة بالمغرب عند أفريقية قال الأزهري القيروان معرب وهو بالفارسية كاروان وقد تكلمت به العرب قديمًا قال امرؤ القيس:

وغارة ذات قيروان***كأن أسرابها الرعال.(ياقوت الحموي،1999،ج:4،ص:420)،ويعرف بالقُرطُبِّي بضم القاف وسكون الراء وضم الطاء المهملة وفي آخرها الياء الموحدة هذه النسبة إلى قرطبة وهي بلدة كبيرة في بلاد المغرب(السماني عبد الكريم،1962، ج:10،ص:274)،والمغربيِّ ثم الأندلسيِّ(الذهبي، 1977،ج:1، ص: 220) ، أمَّا كنيته فأبو محمد(الذهبي، 1977،ج:2، ص: 273) ، كثرت ألقابه لمكانته وشرفه، لقب بالمقرئ، والخطيب، وشيخ الأندلس(الذهبي، 1977،ج:2، ص: 273) ، والفقيه والأديب(ابن فرحون، ،ج:2، ص: 343).

أمَّا مولده ففي القيروان عند طلوع الشمس، أو قبل طلوعها بقليل لسبع بقين من شعبان سنة خمس وخمسين وثلاثمائة(ابن خلكان،ج:3،ص:374) فهي أصله وعلى شيوخها نشأ(ابو جعفر الضبي، 1967،ج:1، ص: 469). لم أعثر في كتب التراجم شيئًا عن أسرته– وإن كانت ذات مكانة اجتماعية دفعت بولدها لتلقي العلم والرحلة من أجله – سوى ابنه محمد الذي ولد سنة أربعمائة، وتوفى في يوم الثلاثاء لخمس خلون من المحرم سنة أربع وسبعين وأربعمائة، روى عن أبيه أكثر ما عنده ، وسمع معه على القاضي يونس(ابن الصغار القرطبي، ج:2، ص: 374) ، وأجاز لهما مارواه(ابن بشكوال، 1955،ج:1، ص: 523).

أثمرت جهود هذه الأسرة المباركة– بعد عناية الله وتوفيقه–رجلًا دينًا تحلَّى بمكارم الأخلاق ومعالي الصفات، مما استوجب الثناء عليه، حفظ القرآن منذ نعومة أظفاره، ثم بعد ذلك رحل إلى البلاد الإسلامية في سبيل طلب العلم، ففي سنّ مبكرة لم يتجاوز الثالثة عشرة من عمره شدّ الرحال إلى مصر، فكان يقيم سنتين وثلاثا ثم يعود إلى القيروان، وكان يرحل إلى بلاد الحجاز ليؤدي فريضة الحج، وكان يلقى الشيوخ، ويأخذ عنهم، ويستدرك، ويستكمل، ولا يقصّر، واستمرت رحلاته في سبيل العلم مدّة خمس وعشرين سنة، قضاها متردّدا بين القيروان، ومصر، والحجاز، والشام(محمد سالم محيصن، 1992،ج:2، ص: 406).

جنى هذا العلم ثمار جهده- بعد إعانة الله له-فرقى مكانةً رفيعةً تكفَّلت كتب التراجم بحفظها، فكان موضع ثناء العلماء يُحذى حذوه في الجد والصبر والرحلة؛ قال صاحبه أبو عمر أحمد بن مهدي المقرئ: (كان مكّي بن أبي طالب من أهل التبحر في علوم القرآن والعربية، حسن الفهم والخلق،جيّد الدين والعقل، كثير التأليف، في علوم القرآن، محسنا مجوّدا، عالما بمعاني القراءات) (محمد سالم محيصن، 1992،ج:2، ص: 406).

ويقول عنه الذهبي: (... كان مع ذلك خيِّرًا فاضلًا تقيًا صوامًا متواضعًا عالمًا قوامًا مجاب الدعوة تحفظ له كرامات ولجابة دعوات) (الذهبي، 1977،ج:1، ص: 220).

وفاته: توفي يوم السبت عند صلاة الفجر، ودفن يوم الأحد ضحوة لليلتين خلتا من المحرم سنة سبع وثلاثين وأربعمائة بقرطبة، ودفن بالربض، وصلى عليه ولده أبو طالب محمد- رحمه الله تعالى،(الذهبي، 1977،ج:1، ص: 220)، وبموته طوى الزمان صفحة ناصعة من صفحاته ظلت مفتوحة اثنين وثمانين سنة ينهل منها الطلاب، رحمه الله وغفر له وجعل الجنة داره ومثواه آمين، وجميع المسلمين.

توطئة: أصول النحو:

لعلّ أول من طرق الباب في هذا العلم ما أورده ابن السراج في أصوله من إشارات في العلة وغيرها من أصول النحو ومن ذلك كتاب الإيضاح للزجاج وقد فصل فيه صاحبه الحديث عن العلل, ثم مضى هذا العلم قدمًا وتطور على يد ابن جني يقول: (فكانت مسافر وجوهه ومحاسر أذرعه وسوقه تصف لي ما اشتملت عليه مشاعره وتحيي إلّي بما خيطت عليه أقرابه وشواكله وتريني أن تغريد كلٌ من الفريقين: البصريين والكوفيين عنه وتحاميهم طريق الإلمام به والخوض في أدنى أوشاله وخُلُجه فضلاً عن اقتحام غماره ولُجَجه إنما كان لامتناع جانبه، وانتشار شعاعه، وبادي تهاجر قوانينه وأوضاعه. وذلك أنا لم نر أحدًا من علماء البلدين تعرض لعمل أصول النحو، على مذهب أصول الكلام والفقه. فأما كتاب أصول أبي بكر فلم يُلِمْ فيه بما نحن عليه، إلاحرفًا أو حرفين في أولهن وقد تعلق عليه به(ابن جني،ج:1،ص:2).

وقد لاحظ ابن جني وجود علاقة بين أصول النحو وأصول الفقه وأشار إلى ذلك بقوله: (وكذلك كتب محمد بن الحسن- رحمه الله- إنما ينتزع أصحابنا منها العلل؛ لانهم يجدونها منثورة في أثناء كلامهم) (ابن جني،ج:1،ص:2)

وبهذا يتضح للدارسين أن أصحاب ابن جني أخذوا عللهم من كتب هذا الفقيه، وانتزعوها بالملاطفة والرفق، وبنحو ما تقدم ربط ابن الأنباري بين أصول النحو والفقه في أكثر من موطن، من ذلك أن جماعة من الفقهاء والأدباء سألوه أن يلخص لهم كتابًا لطيفًا يشمل على ترتيب المسائل الخلافية بين نحويي البصرة والكوفة على ترتيب المسائل الخلافية بين الشافعي وأبي حنيفة؛ ليكون أول كتاب صنف في علم العربية على هذا الترتيب فكان كتاب الأنصاف(ابن الأنباري،2003،ص:5).

أما السيوطي فقد بلغ هذا العلم عنده مرحلة الاستواء؛ حيث جمع فيه ما تشتت من كلام المتقدمين في كتابه الاقتراح الذي في حقه يقول: (هذا كتاب غريب الوضع، عجيب الصنع، لطيف المعنى، طريف المبنى، لم تسمح قريحة بمثاله، ولم ينسج ناسج على منواله في علم لم اسبق في ترتيبه، ولم أتقدم في تهذيبه، وهو أصول النحو

الذي بالنسبة إلى النحو كأصول الفقه إلى الفقه، وإن وقع في متفرقات كلام بعض المؤلفين، وتشتت في أثناء كتبهم)(السيوطي،ص:21).

ثمة مفهومان للأصول عند النحاة:

- أحدهما: يعني القواعد الأساسية في النحو.
- الثاني: الأصول المنهجية والأدلة الإجمالية التي قام عليها علم النحو.
- والذي يعنينا في هذه الدراسة هو علم أصول النحو الذي يدرس الأصول المنهجية التي قام عليها علم النحو، وقد عرف الدارسان أصول النحو بصفتين:

الأولى: بصفة المفردة، فالأصل في اللغة: أسفل الشيء، كالأصول، والجمع: أُصُولٌ وآصُلٌ. وأَصُلَ كَكَرُمَ: صار ذا أَصْلٍ، أو ثَبَتَ ورَسَخَ أَصْلُهُ(أبو محمد ابن مكرم،1414هـ،ص:961). ومنه قوله تعالى: (وَاذْكُرْ رَبَّكَ فِي نَفْسِكَ تَضَرُّعًا وَخِيفَةً وَدُونَ الْجَهْرِ مِنَ الْقَوْلِ بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ وَلَا تَكُنْ مِنَ الْغَافِلِينَ) سورة الأعراف الآية: (205). قال مكّي: {والآصال}: جمع " أُصُل "، كـ: ظُنُب " وأطناب ". وقال الفراء: هو جمع " أصيل "، ك: يَمِين " و " أَيمان "، وقيل: [الأُصُلُ] جمع " أصيل ". {والآصال}: جمع " الأُصُل "، وقد تجعل العرب " الأُصُل " واحداً، فيقولون: " قَدَنَا الأُصُلُ"(مكي بن أبي طالب،2008،ص:2702-2703). ولما كانت أصول النحو مأخوذة من أصول الفقه؛ فالأصل عند الأصوليين هو ما بُني عليه غيره، والفرع ما يبنى على غيره(جلال الدين المحلي،1999،ص:66).

والنحو في اللغة: الطريق والجهة، والجمع: أنحاءٌ ونحْوٌ. والقصد يكون ظرفاً واسماً، ومنه نحو العربية، وجمعه: نُحُوٌ، كعُتُلٍّ ونُحِيَّةٌ، كَنَلٍ ونُلِيَّةٍ.ورجلٌ ناحٍ من نُحاةٍ:نَحْوِيٌّ(ابن منظور،ص:1337).

وأمَّا النحو في الاصطلاح:فهو علم يعرف به أحوال أواخر الكلم العربيَّة إفرادًا وتركيبًا. (شهاب الدين الأندلسي، أحمد بن محمد،2001، ص: 1422).

الثانية: بصفته لقب لهذا الفن: هو علم يبحث فيه عن أدلة النحو الإجمالية من حيث هي أدلته وكيفية الاستدلال بها، وحال المستدل.(السيوطي، ص: 21).

وأدلة النحو الغالبة أربعة: قال السيوطي نقلًا عن ابن جني: أدلة النحو ثلاثة: السماع، والإجماع، والقياس.(السيوطي، ص: 21).

وقال ابن الأنباري: أدلة النحو ثلاثة: نقل وقياس واستصحاب حال.(السيوطي، ص: 21). وزاد الاستصحاب ولم يذكر الإجماع، فكأنه لم ير الاحتجاج به في العربية، كما هو رأي قوم.

موقفه من القياس:

القياس في اللغة: مصدر: قاسَ الشيء: يقيسه قَيْسًا وقياسًا، وقَيَّسَه:إذا قدَّره على مثاله. والمقياس: المقدار، وقاس الشيء يَقُوسُه قَوْسًا، لغةً في قاسَه، يَقِيسُه. ويقالُ: وقَسْتُه أَقُوسُه قَوْسًا وقِياسًا، ولا يقال:أَقَسْتُه، والمقياس: ما قِيسَ به، والمُقايَسَة: مفاعلة من القياس(محمد بن مكرم،ص:187).

والقياس في اصطلاح النحويين:

هو حمل غير المنقول على المنقول إذا كان في معناه.(السيوطي، ص: 79)... عزاه لابن الأنباري.

ولا ينكر مكّي –رحمه الله– حمل غير المنقول على المنقول، إذا كان في معناه؛ إذ لا يعلم أحد من العلماء أنكره بالدلالة القاطعة.(السيوطي، ص: 89).

قال الكسائي في وصف النحو:

إنَّما النَّحو قياسٌ يتَّـــبعْ وبهِ في كلِّ أمرٍ يُنْتَفَعْ

فإذا ما أبصرَ النَّحوَ الفتى مرَّ في المنطقِ مرًّا فاتَّسع

وحكى ابن فارس الإجماع قال: (أجمع أهل اللغة – إلا من شذ عنهم– أن للغة العرب قياساً, وأن العرب تشتق بعض الكلام من بعض)(أحمد بن فارس،1997،ص:35), وتقوم مسائل القياس عند مكّي–رحمه الله– على الأسس التالية:

1/ مصطلح القياس عند مكّي:

ورد مصطلح القياس عند مكّي– رحمه الله– كثيرًا، والمتصفح لتفسيره لا يكاد تقع عينه على صفحة ليس بها قياس سواء نص عليه بلفظه أو أجرى عمليته. وسنذكر بعض تعبيراته عن لفظ القياس في أنموذجين:

الأنموذج الأول:

قوله تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَوَاءٌ عَلَيْهِمْأَأَنذَرْتَهُمْ أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ) سورة البقرة الآية: (6)

قال مكّي– رحمه الله–: قوله:(أَأَنذَرْتَهُمْ) فيه عشرة أوجه: ...والسابع: ذكره أبو حاتم قال: " يجوز أن تدخل بينهما أيضاً، وتحذف الثانية "، فيصير لفظ هذا الوجه كلفظ الوجه الثاني المذكور، والثامن: ذكره الأخفش قال: " يجوز أن تخفف الأولى منهما وتحقق الثانية "، ولم يقرأ بهذا أحد، وهو بعيد ضعيف لأن الاستثقال لا يقع في أول الكلام، ولأن الهمزة المخففة بين بين، لا يبتدأ بها إلا أن تريد أن تصل الهمزة بما قبلها وتلقي حركتها على الميم الساكنة قبلها، فهو قياس، وليس عليه عمل، والتاسع: ذكره أبو حاتم أيضاً قال: " يجوز أن تخفف الهمزتين ". وهو بعيد، ولم يقرأ به أحد، وله قياس إذا وصلت كلامك، فتلقي حركة الأولى على الميم الساكنة قبلها، وتخفف الثانية بين بين، وهو بعيد جداً، والعاشر: ذكره الأخفش أيضاً؛ قال: " يجوز أن تبدل من الأولى هاء، فتقول: هَأَنْذَرْتَهُمْ ". ولم يقرأ به أحد ومخالف للخط، وقياسه في العربية جيد(مكي،ص:145).

الأنموذج الثاني: قوله تعالى: (إِلَّا مَنْ رَحِمَ رَبُّكَ وَلِذَلِكَخَلَقَهُمْوَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّجَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ) سورة هود الآية: (119)

قال مكّي– رحمه الله– ففي الكلام على هذا القول تقديم وتأخير، والتقدير: " إلا من رحم ربك، وتمت كلمة ربك لأملأن جهنّم من الجنة والناس أجمعين، ولذلك خلقهم ". وقد كان يجب في قياس العربية على هذا التقدير أن يكون اللفظ: وتمّت كلمته(مكي،ص:3489).

2/ أوصاف المسموع عند مكّي حتى يقيس عليه:

جعل علماء اللغة العربية السماع قسمين؛ قسم مطرد وآخر شاذ. والأصل في القياس أن يقاس على المطرد، وأن لا يقاس على الشاذ، فابن أبي اسحاق

أوصي يونس بن حبيب بقوله: (عليك بباب يطرد من النحو القياس)(القفطي،ص:108)

ووصف النحاة المسموع بأوصاف تختلف باختلاف الكثرة والقلة وأوضح هذه التقسيمات ابن هشام الذي يقول فيه:(اعلم أنهم يستعملون غالبًا، وكثيرًا، ونادرًا، وقليلًا، ومطردًا، والمطرد لا يتخلف، والغالب أكثر الأشياء ولكنه يتخلف، والكثير دونه، والقليل دونه، والنادر أقل من القليل. فالعشرون بالنسبة إلى ثلاثة وعشرون غالب، والخمسة والعشرون بالنسبة إليها كثير لا غالب، والثلاثة قليل، والواحد نادر. فاعلم مراتب ما يقال في ذلك) .(السيوطي، 1989،ص: 187/1).

وهذا التقسيم من ابن هشام إنما على سبيل التقريب لا على سبيل التحديد، ولم يذكر فيه الشاذ؛ **لأن الشاذ يطلق على ما خالف المطرد** سواء أكان نادرًا أم قليلًا أم غير ذلك، وذكر مكّي–رحمه الله– بعض هذه الأوصاف وسنبين ذلك في ثلاثة نماذج:

الأنموذج الأول:

في قوله تعالى: (وَإِذْ نَجَّيْنَاكُم مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ وَفِي ذَٰلِكُم بَلَاءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ) سورة البقرة الآية:(49)

قال مكّي– رحمه الله– قوله: {وآل فرعون}. أصله: أهله، وترجع الهاء في التصغير. وجمعه آلون. وجمع " آل " الذي هو السراب " أأوالٌ " كمالٍ وأموالٍ، و" آل " المختار فيه ألا يضاف إلا إلى الأسماء المشهورة نحو آل هشام وآل محمد – صلى الله عليه وسلم ، فإن أضفته إلى البلدان والأرضين لم يجز عند جماعة من أهل العربية واللغة لا يقال: آل المدينة ولا آل مصر، وإنما يقال بالهاء، حكاها الكسائي. وسمع الأخفش آل المدينة وآل مكة نادران لا يقاس عليهما(مكي ، ص:259).

الأنموذج الثاني:

قوله تعالى: (الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ) سورة الفاتحة الآية: (2)

قال مكّي– رحمه الله– : قوله: {رَبِّ العالمين} الرب المالك. فمعناه: مالك العالمين، وقيل: الرب السيد، وقيل: المصلح، يقال: " رَبَّه يَرُبُّه رَبّاً " إذا أصلحه. ويقال على التكثير:رَبَّبَه وَرَبَّاه وَرَبَّبَه. فالذين يقولون: "رَبَّبَه " بالتاء، أصله عندهم رَبَّبَه ثم أبدلوا من الباء الثالثة " ياء "، كما يقال، تقَضَّيْتُ " في تَقَضَّضْتُ " ثم أبدلوا من الياء تاء. كما أبدلوا من الواو تاء في "تُراث "، و "تُجاه " و " تولج " وأصله " وولج " على " فوعل، من " ولجت ". وبدل التاء من الياء قليل شاذ، وهو في الواو كثير(مكي ، ص:101).

الأنموذج الثالث:

في قوله تعالى: (وَهُوَ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن تُرَابٍ ثُمَّ مِن نُّطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ يُخْرِجُكُمْ طِفْلًا ثُمَّ لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ ثُمَّ لِتَكُونُوا شُيُوخًا وَمِنكُم مَّن يُتَوَفَّىٰ مِن قَبْلُ وَلِتَبْلُغُوا أَجَلًا مُّسَمًّى وَلَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ) سورة غافر الآية: (67)

قال مكّي– رحمه الله– : وقوله: {ثُمَّ لِتَكُونُوا شُيُوخًا} هذا جمع للعدد الكثير وحكم القليل فيه " أشيخ " كفلس وأفلس. إلا أنهم استثقلوا الضمة على الياء. فشبهوا باب فعل بفعل. وحق فعل في القليل أن يجمع على أفعال كجمل وأجمال فجمعوا فعلاً عند الاستثقال بضمة الياء على " أفعال " فقالوا: أشياخ ". والأصل أشيخ، ومثله زيد وأزياد، والأصل أزيد. فإن اضطر شاعر جاز أن يأتي به على أفعال فيقول أزيد وأشيخ كما قالوا: عين وأعين وإنما حسن في أعين في غير الشعر لأنها مؤنثة. والشيخ ما جاوز الأربعين(مكي ، ص:6457).

3/ لا يرى القياس على الجوار:

في قوله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قُمْتُمْ إِلَى الصَّلَاةِ فَاغْسِلُوا وُجُوهَكُمْ وَأَيْدِيَكُمْ إِلَى الْمَرَافِقِ وَامْسَحُوا بِرُءُوسِكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ إِلَى الْكَعْبَيْنِ ...﴾ سورة المائدة الآية: (6) .

قال مكّي– رحمه الله– : قوله : {وَأَرْجُلَكُمْ}: خفض. فهوعند الأخفش وأبي عبيدة على الجوار، والمعنى للغسل، شبه الأخفش بقولهم " هذا جُحْرُ ضَبٍّ خَرِبٍ "، وهذا قول مردود، لأن الجوار لا يقاس عليه، إنما يسمع ما جاء منه ولا يقاس عليه. وأيضاً فإن الأرجل معها حرف العطف، ولا يكون الإتباع مع حرف العطف(مكي ، ص:1614)؛خلافاً لابن جني الذي يقول: (فممّا جاز خلاف الإجماع الواقع فيه منذ بدئ هذا العلم وإلى آخر هذا الوقت ما رأيته أنا في قولهم: هذا حجر ضب خرب. فهذا يتناوله آخر عن أول، وتال عن ماض على أنه غلط من العرب لا يختلفون فيه ولا يتوقفون عنه وأنه من الشاذ الذي لا يحمل عليه ولا يجوز رد غيره إليه، وأمّا أنا فعندي أن في القرآن مثل هذا الموضع نيفاً على ألف موضع، وذلك أنه على حذف المضاف لا غير)(ابن جني،ص:172).

4/ ما حمل على اللفظ مرة وعلى المعنى مرة، إنما يتقدم أولاً الحمل على اللفظ: في قوله تعالى: ﴿وَقَالُوا مَا فِي بُطُونِ هَذِهِ الْأَنْعَامِ خَالِصَةٌ لِذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَى أَزْوَاجِنَا وَإِنْ يَكُنْ مَيْتَةً فَهُمْ فِيهِ شُرَكَاءُ سَيَجْزِيهِمْ وَصْفَهُمْ إِنَّهُ حَكِيمٌ عَلِيمٌ﴾ سورة الأنعام الآية: (139)

قال مكّي– رحمه الله– قوله: {خَالِصَةٌ}:أُنّثت (ما) لتأنيث (الأنعام)، لأن ما في بطونها ملتبس بها، كما قال:

مشين كما اهتزّت رماحٌ تَسَفّهَتْ أعاليها مَرُّ الرياحِ النواسم

فأنّث، لأن المَرَّ من الرياح، هذا قول الفراء. وقال الكسائي والأخفش: دخل التأنيث للمبالغة. وقيل: " التأنيث على معنى (ما)، والتذكير على اللفظ "، كذا قرأ ابن عباس (خَالِصُه) بالتذكير، والمعنى: ما خلص منه حياً لذكورنا. { وَمُحَرَّم على أزواجنا} يعني الإناث "، وقرأ الأعمش (خَالِصٌ) بغير هاء، على التذكير على اللفظ، ولأن { وَمُحَرَّم}، وهذه الآية – في قراءة الجماعة – أتت على خلاف نظائرها في القرآن، لأن ما يحمل على اللفظ مرة وعلى المعنى مرة، إنما يتقدم أولاً الحمل على اللفظ ثم يليه الحمل على المعنى، نحو: {مَنْ آمَنَ بالله} سورة البقرة الآية: (62) ثم قال:﴿فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ} سورة البقرة الآية: (62)، ونحو ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَنْ فِي السماوات والأرض طَوْعاً وَكَرْهاً} سورة الرعد: (15) ثم قال:﴿وَظِلَالُهُمْ} سورة الرعد الآية: (15)، وهو كثير، هكذا يأتي في القرآن وكلام العرب، يتقدم الحمل على اللفظ، ثم يحمل بعد ذلك على المعنى. وهذه الآية تقدم الحمل (فيها) على المعنى فقال: (خالِصَة)، ثم حمل بعد ذلك على اللفظ فقال { وَمُحَرَّم}. ومثله قوله: {كُلُّ ذلك كَانَ سَيِّئُهُ عِنْدَ رَبِّكَ مَكْرُوهاً} سورة الإسراء الآية: (38) ، فقال أولاً (سَيئة) فأنث وحمل على معنى (كل)، لأنها اسم لجميع ماتقدم مما نهى عنه من الخطايا، ثم قال بعد ذلك (مَكْروهاً)، فذكّر على لفظ (كل)، وهذا إنما هو على قراءة نافع ومن تابعه(مكي،ص:2202).

وبنحو الذي قال يقول ابن جني في أكثر من باب فيقول في التفسير بالمعنى دون اللفظ: (اعلم أن هذا موضع قد أتعب كثيرًا من الناس واستهواهم، ودعاهم من سوء الرأي وفساد الاعتقاد إلى ما مذلوا به وتتابعوا فيه؛

حتى إن أكثر ما ترى من هذه الآراء المختلفة، والأقوال المستشنعة، إنما دعا إليها القائلين بها تعلقهم بظواهر هذه الأماكن، دون أن يبحثوا عن سر معانيها، ومعاقد أغراضها) (ابن جني،ص:263).

وفي باب قوة اللفظ لقوة المعنى يقول: (هذا فصل من العربية حسن. منه قولهم: خشن واخشوشن. فمعنى خشن دون معنى اخشوشن؛ لما فيه من تكرير العين وزيادة الواو. ومنه قول عمر رضي الله عنه: اخشوشنوا...) (ابن جني،ص:268)

5/ إذا حَسُنَ استعمال اللفظ على سياقه لم يقدر به غير ترتيبه:

في قوله تعالى:﴿يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ لِيُرْضُوكُمْ وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضُوهُ إِنْ كَانُوا مُؤْمِنِينَ﴾ سورة براءة الآية: (62)

قال مكّي – رحمه الله– : قوله تعالى: {واللهورسولُه أَحَقُّ أَن يُرضُوه}.:التقدير عند سيبويه: والله أحق أن يرضوه ورسوله أحق أن يرضوه، ثم حذف الأول لدلالة الكلام عليه، التقدير عند المبرد: أنَّه لا حذف في الكلام، وأنَّ فيه تقديماً وتأخيراً، والمعنى عنده: والله أحق أن يرضوه ورسوله، وقد رُدّ هذا القول؛ لأن التقديم والتأخير إنما يلزم إذا لم يكن استعمال اللفظ على ظاهره، فإذا حَسُنَ استعمال اللفظ على سياقه لم يقدر به غير ترتيبه(مكي،ص:3053).

6/ إذا جاز استعمال اللفظ بظاهره لم يجز الإضمار:

في قوله تعالى:﴿يَحْلِفُونَ بِاللَّهِ لَكُمْ لِيُرْضُوكُمْ وَاللَّهُ وَرَسُولُهُ أَحَقُّ أَنْ يُرْضُوهُ إِنْ كَانُوا مُؤْمِنِينَ﴾ سورة براءة الآية: (62)

قال مكّي– رحمه الله– التقدير عند سيبويه: والله أحق أن يرضوه ورسوله أحق أن يرضوه، ثم حذف الأول لدلالة الكلام عليه، وقد رُدَّ أيضاً قول سيبويه بأن قيل: الإضمار إنما يلزم إذ لم يجز استعمال اللفظ بظاهره من سياقه، أو من تقدير فيه، فأما إذا جاز استعماله بغير زيادة على وجه ما، لم يجز تقدير إضمار وحذف(مكي ،ص:3053).وبهذا يتبيّن أن لمكّيوقفات انتقادية يصل من خلالها إلى تقرير المسألة.

خاتمة:

الحمد لله الذي أعاننا على إكمال هذا البحث الذي حاولنا فيه جمع موجزة تعريفية لمكّي، مع عرض حياته العلمية، وبيان لبعض الجهد النحوي له. فقد كانت هذا الورقة محاولة لإلقاء الضوء على موقف نحوي في أصل من أصول النحو قد احتل مكان الصدارة بين متأخري النحاة، وقد وضعنا نصب أعيننا مهمة كشف الغموض الذي اكتنف منهج التناول لأدلة النحو الإجمالية لدى هذا النحوي، هذا وبعد عرض المادة العلمية توصلنا للنتائج الآتية:

1- لا يرى القياس على النادر.
2- لا يرى القياس على الجوار.
3- يرى الحمل على اللفظ مقدم على الحمل على المعنى.
4- ربط مكّي بين وجوه التفسير ووجوه الإعراب لذا كانت له وقفات انتقادية لبعض النحويين، وهو حينما ينتقد رأياً ينتقده بطريقة معتدلة يصل من خلاله إلى تقرير المسألة.

المصادر والمراجع

- القرآن الكريم

1. ابن الأثير علي بن أبي الكرم المتوفى(630 هـ)، اللباب في تهذيب الأنساب ، دار صادر (ت/ط)

2. ابن الأنباري، الانصاف في مسائل الخلاف، المكتبة العصرية، الطبعة الاولى، 1424 هـ /2003م .

3. ابن بشكوال القاسم خلف بن الملك المتوفى(578 هـ)، الصلة في تاريخ أئمة الأندلس، تحقيق السيد عزت العطار الحسيني، مكتبة الخانجي الطبعة الثانية1374 هـ /1955م .

4. ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين بن أحمد المتوفى (681 هـ)، وفيات الأعيان في أنباء أبناء الزمان، تحقيق إحسان عباس، دار صادر(ط) 1900 م .

5. ابن فرحون ابراهيم بن علي المتوفى(799 هـ)، الديباج في معرفة أعيان المذهب، تحقيق محمد الأحمدي أبو النور، دار التراث للنشر(ت/ط).

6. أحمد بن فارس بن زكريا المتوفى القزويني المتوفى(395 هـ)، الصاحبي في فقه اللغة العربية ومسائلها وسنن العرب في كلامها، محمد علي بيضون، الطبعة الأولى1418 هـ ،1997م.

7. أبو جعفر الضبي أحمد بن يحيى المتوفى (599 هـ)، بغية الملتمس في تاريخ رجال الأندلس، دار الكتاب العربي القاهرة، (ط)1967م .

8. جلال الدين محمد بن أحمد بن محمد بن إبراهيم المحلى الشافعي المتوفى(864 هـ)، شرح الورقات للجويني، تحقيق: حسام الدين موسى عفانة، جامعة القدس – فلسطين، الطبعة الأولى، 1420هـ-1999م.

9. جمال الدين ابن هشام المتوفى (761 هـ) مغنى اللبيب، تحقيق: مازن المبارك، محمد علي حمد الله راجعه سعيد الأفغاني، الطبعة الأولى، 1433هـ- 1434هـ- 2012م.

10. جمال الدين أبو الحسن علي بن يوسف القطفي المتوفى(646 هـ)، إنباه الرواة على أنباه النحاة، المكتبة العصرية، صيدا، بيروت، الطبعة الأولى 1424هـ.

11. الذهبي، العبر في تاريخ من عبر، تحقيق أبو هاجر السعيد البسيوني زغلول، دار الكتب العلمية بيروت، (ت/ط) .

12. الذهبي ، محمد بن عثمان المتوفى(748 هـ)، معرفة القراء الكبار على الطبقات والأعصار، دار الكتب العلمية، بيروت، الطبعة الأولى1417 هـ /1977م.

13.السمعاني عبد الكريم بن منصور المتوفى (562هـ)، الأنساب، تحقيق عبد الرحمن بن يحيى المعلمي اليمني، مجلس دار المعارف العثمانية حيدر آباد الهند، الطبعة الأولى 1382 هـ /1962م.

14. السّيوطي، الاقتراح في أصول النحو، تحقيق: عبد الحكيم عطية، دار البيروني، الطبعة الثانية.

15. السّيوطي، المزهر في علوم اللغة وأنواعها، تحقيق فواد علي منصور، دار الكتب العلمية بيروت، الطبعة الأولى1418 هـ ، 1998م.

16.شهاب الدين الأندلسي، أحمد بن محمد بن محمد المتوفى (860 هـ)، الحدود في النحو، تحقيق نجاة حسن عبد الله، الجامعة الإسلامية، طبعة العدد 112 – 1421هـ/2001م

17.أبو الفتح، عثمان ابن جني المتوفى(392 هـ)، الخصائص، الهيئة المصرية العامة للكتاب، (الطبعة الرابعة/ت).

18.أبو محمد بن مكرم المتوفى(711 هـ)، لسان العرب، دار صادر بيروت، الطبعة الأولى1414 هـ.

19.محمد محمد محمد سالم محيصن المتوفى (1422 هـ)، معجم حفاظ القرآن عبر التاريخ، الطبعة الأولى 1412 هـ /1992م .

20. مكّي بن أبي طالب، الهداية إلى بلوغ النهاية، تحقيق الشاهد البوشيخي، جامعة الشارقة، الطبعة الأولى/1429 هـ /2008م .

21.ياقوت الحموي المتوفى (626هـ)، معجم البلدان، دار صادر بيروت الطبعة الثانية 1999م .